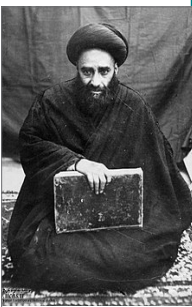


علماء وأعلام

السيد محمد الحجة الكوهكمري

- اسمه ونسبه**

السيد محمد ابن السيد علي ابن السيد علي نقى الحسيني المعروف بالحجة الكوهكمري، وينتهي نسبه إلى السيد علي الأصغر ابن الإمام



زين العابدين عليه السلام.

- والده**

السيد علي، قال عنه الشيخ آقا بزرك الطهراني في الطبقات: «عالم بارع، وفاضل ورع».

- ولادته**

ولد في الثامن والعشرين من شعبان ١٣١٠هـ في تبريز بإيران.

- دراسته وتدريسه**

بدأ بدراسة العلوم الدينية في مسقط رأسه، ثم سافر إلى النجف عام ١٣٢٠هـ لإكمال دراسته الحوزوية، ثم سافر إلى قم عام ١٣٢٩هـ واستقر فيها حتى وافاه الأجل، مشغولاً بالتدريس والتأليف وأداء واجباته الدينية.

- من أساتذته**

شيخ الشريعة الإصفهاني، السيد محمد كاظم اليزدي، الميرزا النائيئي، الشيخ عبد الكريم الحائري، السيد أبو تراب الخونساري، الشيخ ضياء الدين العراقي، الشيخ عبد الله المامقاني، الشيخ علي الفوجاني، الشيخ علي الكتابادي، السيدمحمد الفيروزآبادي.

- من تلامذته**

السيد المحقق الداماد، الشيخ محمد تقي البهجة، السيد علي السيستاني، الأخوان الشيخ لطف الله والشيخ علي الصافي الكلبايكاني، الميرزا جواد التبريزي، السيد محمد الوحيدي، الميرزا هاشم الأملي، الشيخ حسين النوري الهمداني، العلامة الطباطبائي و... .

- من صفاته وأخلاقه**

عدم التظاهر والابتعاد عن الرياء، ولهذا كان لا يسمح للصحف والمجلات بطبع ونشر صوره، وكان يُوصي أصدقائه وطلابه بعدم الإشادة به على المنابر، ويكرز عليهم قوله: «لا أوافق على ذكر اسمي على المنابر».

ومن صفاته الأخرى: الحلم والصبر على أذى من ظلمه من المخالفين، ويغض النظر عنهم، ويؤاخيهم برحابة صدر، أما عن إرادته وتصميمه، فيقول عنه تلميذه الشيخ مرتضى المظهري: «إن السيد من المدخنين، وفي الحقيقة لم أر مثله بكترة التدخين، وقد نصحه الأطباء بتركه، وقالوا له: عليك بترك التدخين لأنه مضر بصحتك، فصمّم على تركه، وبالفعل لم يضع سيجارة واحدة في فمه منذ اتّخذه هذا القرار».

وكان شديد المحبة للإمام الحسين عليه السلام، وكان ولعاً بالمطالعة، فيُنلّ عنه أنه كان يُخصّص ساعتين أو ثلاث ساعات من كل ليلة للمطالعة بالإضافة إلى مطالعة النهار، وكان من عادته إعادة مراجعة الكتب الحوزوية، أي: كتب مرحلة المقدمات إلى مرحلة الكفاية كل ثلاث أو أربع سنوات وبشكل دقيق.

- مشاريعه الخيرية**

قام؟ بقى؟ بتأسيس مدرسة الحِجّية للعلوم الدينية في قم، على أرض مساحتها تبلغ ثلاثة عشر ألف متر مربع، وتحتوي على مائة وستّ وعشرين غرفة، مع مسجد ومكتبة للمطالعة تحوي عشرات آلاف من الكتب في مختلف العلوم.

- من أولاده**

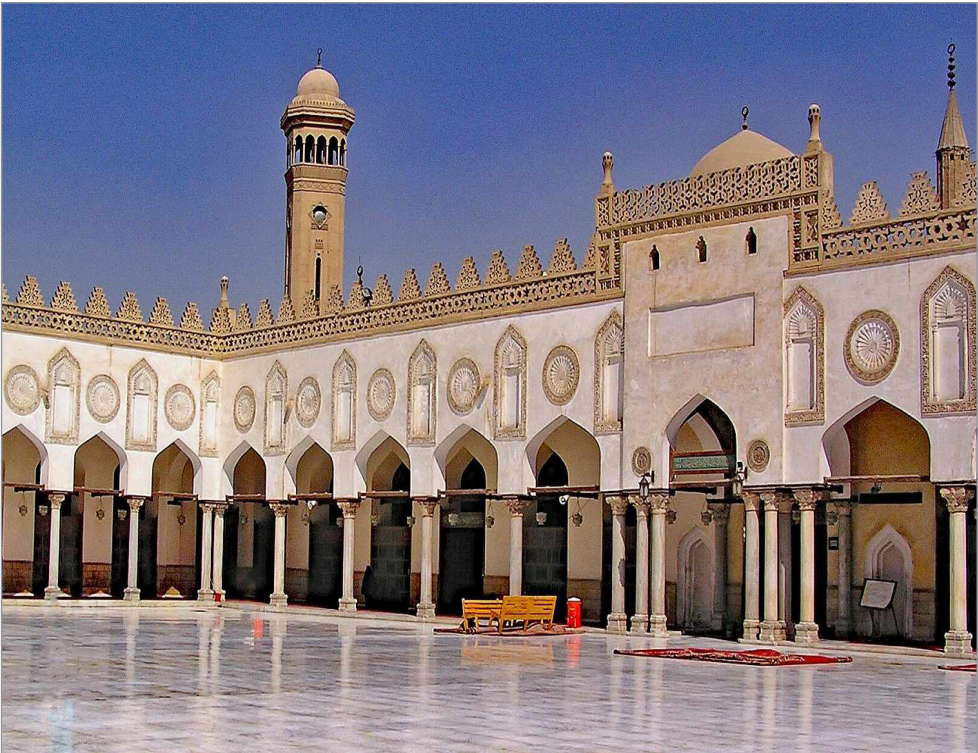
السيد محسن، قال عنه الشيخ محمد هادي الأميني في المعجم: «عالم فاضل مجتهد جليل متنبّ، من أساتذة السطوح والمقدمات».

- من مؤلفاته**

حاشية على كفاية الأصول (مجلّدان)، تنقيح المطالب المبهمه في عمل الصور المجسّمة، كاشف الحجاب ورافع النقاب، لوامع الأنوار الغروية في مرسلات الآثار النبوية، مستدرک البحار، جامع الأحاديث والأصول، كتاب الصوم، الاستصحاب، رسالة فيما يُعلم به البلوغ، رسائل في فروع الدين، رسالة حول الصلاة، رسالة حول الوقت، من تقارير درسها المحجّة في تقارير الحجة للشيخ علي الصافي الكلبايكاني (مجلّدان)، فقه البيع للشيخ علي الصافي الكلبايكاني، تحقيق في مسألة اللباس المشكوك للشيخ إسماعيل البهاري، كتاب البيع للشيخ أبو طالب التجليل التبريزي، النجم الزاهر في صلاة المسافر للسيد أبو الحسن الموسوي التبريزي.

- وفاته**

توفي عشرين في الثالث من جمادى الأولى ١٣٧٢هـ، وصلى على جثمانه المرجع الديني السيد حسين البروجردي، ودفن في مدرسته (المدرسة الحِجّية) بقم.



■ الخطاب الديني بين المسؤولية والشعبوية

للخطاب الموجه للجمهور تأثير على تشكيل ثقافة المجتمع، وتوجيه مواقف وسلوكيات أبنائه. كان هذا من قديم الزمان، حيث كانت خطب الزعماء والقيادات، وقصائد الشعراء والأدباء، تلهب المشاعر، وتحرك الأحاسيس، وتصنع الرأي العام في مجتمعاتها، وتقودهم نحو التوجهات المطلوبة. وفي المجتمعات الدينية يكون للخطاب الديني تأثير أكبر من سائر الخطابات؛ لأنه في نظر المتدينين يعبر عن مقاصد إلهية، وأوامر دينية، والاستجابة له تحقق رضا الله وتنجي من سخطه.

من هنا كان لروايات المحدثين، وفتاوى الفقهاء، وخطب الواعظين والدعاة، نفوذ في نفوس الناس، وتأثير على أفكارهم وسلوكهم.

وفي عصرنا الحاضر فإن تطوّر وسائل الإعلام، وتكنولوجيا التواصل الاجتماعي، أعطى للخطاب الديني أفقًا أوسع في الانتشار والتأثير، حيث الفضائيات، والبلث المباشر، والشبكة العنكبوتية، والخدمات المتطورة للهواتف النقالة. وتوفر المواسم الدينية فرصًا مميزة للخطاب الديني، حيث يُقبل الناس على الإصغاء له، والتفاعل معه، بحكم طبيعة الأجواء الجمعية الشعائرية.

إنّ تأثير الخطاب الديني هو مصدر أهميته، وفي الوقت ذاته ممكن خطورته، فإذا لم يكن في الاتجاه الصحيح، فسيصيب الدين والأمة بأضرار جسيمة، وإذا لم يقم بوظيفته المطلوبة، فسيضيق على المجتمع أعظم الفرض والمكاسب.

ورد عن الإمام علي أنه قال: سمعت رسول الله يقول: «يا علي، هلاك أمتي على يدي كلّ منافق عليم اللسان».

و(عليم اللسان) أي المتحدث الذي له تأثير في مستمعيه. فإذا لم يكن مخلصًا صادقًا، فإنّ هلاك الأمة يكون على يديه؛ لأنّ توجيهه قد يأخذ الناس إلى مسار مهلك لهم. إنّ للخطيب موقفًا خطيرًا، وهو محاسب على تعامله مع هذا الموقع، وعليه أن يدرك ذلك، ويكون حريصًا على مراعاة الضوابط الشرعية والمصلحة العامة.

■ ضوابط المسؤولية في الخطاب

يمكن الحديث عن أهم ضوابط المسؤولية في الخطاب الديني، وهما ضابطان:

الأول:

الانطلاق من قيم الدين وتعاليمه، فلا يصح الافتراء على الدين ولا تجرييره لخدمة المصالح والأهواء.

الثاني:

رعاية المصلحة العامة للدين والمجتمع، وأخذ الظروف والأوضاع الحاضرة بعين الاعتبار، واختيار الأسلوب المناسب للطرح، حتى لا يكون منقّرًا للناس من الدين.

إنّ الدين منظومة من العقائد والمفاهيم والأحكام والآداب، وفي التراث الديني قضايا ومواضيع كثيرة، لكن الخطاب يجب أن يراعي حاجات المجتمع المخاطب، وظروفه ومصالحه، فتكون هناك أولوية لاختيار المواضيع التي تعالج القضايا المهمة الحاضرة، ولا يترك المجتمع بطرح القضايا الجانبية الفرعية، أو يستغرق الخطاب في سرديات تاريخية، قد تشبع فضول المستمع لكنها لا تقدم له ما ينفعه في حياته.

ورد عن الإمام الكاظم أنه قال: دَخَلَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ المسجدَ فإذا جماعةٌ قد أطافوا بِرَجُلٍ، فقال: ما هذا؟ فقبل: علامةٌ، قالَ: وما العلامةُ؟ قالوا: أَعْلَمُ الناسَ بِأنسابِ العَرَبِ ووقائعها، وأيامِ الجاهليّةِ، وبالأشعارِ والعَرَبِيّةِ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ذاك عَلمٌ لا يَصُرُ مَن جَهِلُهُ، ولا يَنفَعُ مَن عَلمُهُ».

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾(سورة الأحزاب، آية: ٧٠)، أي قولًا رصينًا محكمًا، لا تكون فيه ثغرات تخل بمصالح الدين والمجتمع.

ويقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(سورة النحل، آية:

■ مقالة / الجزء الثالث والأخير

الخطابُ الديني

والوظيفة الاجتماعية

■ الشيخ حسن الصفار

■الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة ، بل تعبر عن رأي أصحابها

تناسب الرغبات أو الأهداف المطروحة.

وهناك مصطلح في مصر: «الجمهور عايز كده».

للدفاع عن الانحطاط والهبوط الذي أصاب الإنتاج الفني في مصر من غناء ومسرح وأفلام، ثم سرت للكتابات والخطابات.

وبعض الإذاعات لـديها برنامج (ما يطلبه المستمعون).

لكن الخطاب الديني لا يصح أن يكون شعويًا، بمعنى استهدافه دغدغة المشاعر والعواطف على حساب الحقائق والمصالح الواقعية، ولا أن ينقاد لرغبات الجمهور على حساب الوظيفة الشرعية.

ذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة أنّ رسول الله قال: «من أَرْضَى الله بسخط الناس، كُفاه الله الناس، ومن أسخط الله برضى الناس، وكله الله إلى الناس».

أخرج الترمذي عن رسول الله أنه قال: «من التمسّ رضا الله بسخطِ النَّاسِ كُفاهُ اللهُ مؤنةَ النَّاسِ، ومن التمسّ رضا النَّاسِ بسخطِ الله وَكَلَهُ اللهُ إلى النَّاسِ». وورد عن الإمام علي: «ما أعظم وزر من طلب رضى المخلوقين بسخط الخالق».

كما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام: «من طلب رضا بسخط الناس كُفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضا الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس».

ويمكن رصد ثلاثة أساليب للخطاب الديني الشعبي:

■ الأول: أسلوب التهيج السياسي:

فـلـسـعـوب فـي كـلّ الـبلـدان قـضـايـا ومطالب واهتمامات، وعادة ما يتفاعل الناس مع من يرفع صوت المعارضة والاحتجاج، وهنا لا بُدّ وأن تؤخذ الظروف والأوضاع في كل بلد ومجتمع بعين الاعتبار، فما يكون مفيدًا في بلد قد يكون مضرًا في بلد آخر، وما يكون مناسبًا لظرف وزمن، قد لا يكون مناسبًا في ظرف وزمن مختلف.

■ الثاني: أسلوب التعبئة المذهبية

هناك أفضية خصبة في مجتمعاتنا للتفاعل مع الخطاب المذهبي والطائفي، بسبب وجود تراث تاريخي وثقافي ضخم عند كل طائفة في السجل المذهبي، وبسبب وجود خلل في العلاقات بين الطوائف، حيث تستعلي طائفة على أخرى، وتعالني طوائف من التهميش والإقصاء، وحيث تستعر نيران الفتن والصراعات الطائفية، فمن الطبيعي أن يتفاعل الجمهور من مختلف الطوائف مع الطروحات المذهبية، ويصبح سوقها رائجًا، وأبرز شاهد على ذلك هذه الفضائيات الطائفية، ومن يركب هذه الموجة يصبح نجمًا وبطلًا، كما رأينا أن أفرادًا تكرات أصبحوا أرقامًا يحسب لهم حساب!!

لكن الخطيب الواعي هو من يجعل المصلحة العامة للدين والأمة والوطن نصب عينيه، فيتقي الله فيما يطرح ويقول، فكتيّرًا ما تتأثر العلاقة بين أبناء الوطن الواحد بخطب التعبئة الطائفية، وقد يدفع ذلك للفتنة والاحتراپ.

■ الثالث: أسلوب الإثارة العاطفية:

لا شك أنّ للعاطفة دورًا ينبغي أن يستثمر في الخطاب الديني، بإثارة الخشية من الله والشوق إلى رضاه، والحبّ لأولياء الله، والتأثر لمصابئهم ومعاناتهم.

لكن لا ينبغي الاستغراق والمبالغة في الجانب العاطفي، بحيث يتجاوز الحدود المشروعة، يسرد قصص مختلقة، أو نسبة كذب لمقامات الأنبياء والأئمة والأولياء.

قد يرى البعض أن غرض الإپكاء على الإمام الحسين مبرر لذكر ما لا أصل له، أو التصوير بلسان الحال لما لا يليق بمقام الأئمة والأولياء وهذا خطأ لا ينبغي الوقوع فيه.

ذكر السيد حسن القزويني من علماء الشيعة البارزين في الولايات المتحدة الأمريكية في كتاب له عن تجربته التبليغية هناك تحت عنوان: (الشمس تشرق من المغرب) أن خطيبًا في مسجد لجالية الباكستانية في كاليفورنيا كان مولعًا بذكر المعجزات والكرامات ليس للأئمة الطاهرين فحسب وإنما

لفرس الإمام الحسين، ففي أكثر من ليلة تحدث وبشكل مسهب عن وجوه الإعجاز والكرامات لهذا الفرس.

وقد صنّف العلامة الشيخ حسين النوري صاحب مستدرک الوسائل (توفي ١٣٣٠هـ) كتابه (اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر) لمعالجة هذه المشكلة التي يعاني منها معظم الخطاب الديني في الساحة الشيعية.

■ومما جاء فيه:

(في ذكر بعض الشهوات التي حملت هذه الجماعة، بل بعض أرباب التأليف، على نقل الأخبار والحكايات التي لا أساس لها، والروايات التي لا يحتمل صدقها، أو التي يكون احتمال صدقها في غاية الضعف، وعلى افتراء الكذب، وجعل الأخبار ووضعا، واختلاق الحكايات المتضمنة للمصائب التي لا واقع لها، من أجل إپكاء المؤمنين وإضفاء الرونق على مجالس الغزاء).

■**ويتابع:** (ما نقل عن بعض مختلقي الكذب من الأخبار التي تمدح الإپكاء، وترغب فيه، وما سطر في هذا المجال، مما يوحي بأن كل ما يحمل على الإپكاء، وما هو وسيلة للتفجّع وإسالة الدموع ممدوح ومستحسن، ولو كان كذبًا وافتراء).

■**ويضيف:** (ولا يخفى على كل ذي شعور أنّ هذا النمط من الكلام خلاف ضروريات الدين والمذهب، وخروج عن الملة والإسلام. وجواب أصل هذه الشبهة مشروح في افقه في كتاب المكاسب، ومجمله الذي يمكن إپراده هنا: أنّ المستحب مهما كان عظيمًا، لا يمكنه أن يعارض الحرام مهما كان حقيرًا، ولا يطاع الله من حيث يعصى، ولا يكون ما يوجب عقوبة الله وسخطه داعيًا للتقرب منه، وأن مورد كلّ المستحبات ما كان جائزًا في نفسه، مباحًا بذاته، أما إذا كان حرامًا، وتترتب عليه مفسدة عظيمة، تستوجب توجه النهي عنه، لا يبقى لذلك المستحب محلّ ولا مجال).

إنّ ذكر النصوص المعتبرة عن حادثة عاشوراء، وعن مصائب أهل البيت ، تكفي لإثارة المشاعر الولائية النبيلة دون الحاجة للتلفيق والاختلاق.

■ نتائج وتوصيات:

الخطاب الديني مصدر أساس لأبناء الأمة في التعرف على مفاهيم الدين وتعاليمه، وله دور رئيس في تشكيل ثقافتهم الدينية وسلوكهم الاجتماعي. على القيادات الواعية المخلصة في الأمة، أن تبدي أعلى درجات الاهتمام بشأن الخطاب الديني في مجتمعاتها؛ لأن أي ضعف أو خلل يتسلل إلى هذا الخطاب ستكون نتائجه خطيرة على الدين والمجتمع.

دفعت مجتمعاتنا ثمنًا باهظًا لرواج خطابات - تنتسب إلى الدين - كزست التخلف، ونشرت الكراهية، وسببت الخلافات والفتن، وأعطت عن الدين صورة مشوهة منفرّة. لكن الانصاف يقتضي الإشارة إلى أن ساحة الأمة لم تخل من وجود خطاب ديني أصيل، يبيث الوعي، ويدعو إلى الوحدة ويعزز الاستقرار والسلم المجتمعي، ويحفّز للتنمية والنهوض والتقدم. لا بُدّ من الاهتمام بتأهيل وإعداد الخطباء والدعاة والمبلغين، علميًا وثقافيًا وتربويًا ليكونوا في مستوى الكفاءة اللازمة لأداء مهمتهم الخطيرة.

تجب المبادرة لتقديم رؤية مدروسة لتوجّهات الخطاب الديني وأولوياته، حسب حاجة كل مجتمع ومستلزمات كل مرحلة وظرف، وذلك يقتضي وجود مراكز ومؤسسات أبحاث تهتم بهذا الشأن.

قد يرى البعض بمكان وجود متابعة ورصد للأداء الخطابي في كل مناسبة وموسم ديني، من أجل التقويم، وتدوير التجارب الناجحة، ومعالجة مناطق الضعف، وسدّ الثغرات.

تحتاج الساحة الاجتماعية لرفع مستوى الوعي بأهمية الخطاب الديني، والتعامل معه بمسؤولية والتزام، والقيام تجاهه بدور التقويم والنقد البناء لأدائه، انطلاقًا من المعايير والضوابط الصحيحة.

المصدر: مجلة الاجتهاد والتجديد